



# أحداث 1968 في فرنسا..

## «منع الممنوع»

### 9

#### ثورات الربيع

من صراع القوميات الذي تصاعد إلى حربين عالميتين، إلى صراع الأيديولوجيا الذي أدخل العالم في حرب باردة بين «الجبارين»، وصولاً إلى ما يسمى بعصر القطب الواحد والعولمة، شهد العالم ثورات وانتفاضات شعبية لن تُنسى لاسيما تلك التي اتسمت بالطابع السلمي.

بعد انتصارها في الحرب الباردة واجهت الولايات المتحدة عمليات استهداف معادية من جماعات إسلامية سبق أن دعمتها أميركا في حربها الضروس ضد الاتحاد السوفييتي في أفغانستان. وصلت حركة طالبان إلى السلطة في أفغانستان عام 1994، ووفرت ملاذاً آمناً لتنظيم «القاعدة» الذي أسسه أسامة بن لادن بين عامي 1988 و1989 أعلن حربه رسمياً على الولايات المتحدة، وأولى عملياته البارزة كانت محاولة تفجير برج التجارة العالمي في 1993، ثم استهداف السفارتين الأمريكيتين في تنزانيا وكينيا عام 1998، قبل أن ينفذ هجمات 11 سبتمبر التي كرسست عملياً نظرية كان قد أطلقها استاذ العلوم السياسية صامويل هنتنجتون عام 1993 عن «صراع الحضارات» اعتبر فيها أنه بعد الحرب الباردة ستكون المواجهة الأعنف على أساس الحضارة، مستعرضاً عدداً من المواجهات المحتملة للحضارة الغربية مع الاسلام والحضارتين الصينية والاندوكية (الهندية). مسار الأحداث والصراع بين «القاعدة» والغرب أعطى النظرية زخماً منقطع النظير ودارت نقاشات مطولة، غالباً ما كانت تنتهي إلى أن المجتمعات الإسلامية ممانعة بحضارتها وموروثاتها للديموقراطية، مستشهدين بالثورة الإيرانية التي لم تقض إلى ديموقراطية بمفهومها الغربي رغم سلميتها، واستبعد كثير من الخبراء وبيئتهم هنتنجتون أن يشهد العالم العربي ثورات شبيهة بتلك الثورات التي حررت دول أوروبا الشرقية قبل وبعد سقوط جدار برلين وتفكك الاتحاد السوفييتي.

رحل هنتنجتون عام 2008 قبل 3 سنوات من أحداث اجتاحت فجأة العالم العربي فيها الكثير من سمات الحركات التحررية والديموقراطية السلمية التي سبق ان شهدها الغرب بدءاً من أحداث 1968 في فرنسا إلى ربيع براغ ثم سقوط الجدار، كما لم يشهد قبل وفاته أحداث النرويج في 22 يوليو 2011 والتي تؤكد أن اليمين المسيحي ليس بأقل تطرفاً من اليمين الإسلامي. ارجاء كثيرة من العالم العربي المسلم بغالبيته شهدت خروج ملايين الشباب إلى الشوارع بحماس منقطع النظير، بدأ في تونس وامتد إلى دول أخرى تحت شعار «الشعب يريد إسقاط النظام» مستفيدين من ثورة التكنولوجيا القادمة من الغرب والإعلام الجديد الذي قدمته شبكة الإنترنت.

قوبلت الثورات بترحيب غربي وبذلت الدول الغربية وسفاراتها جهوداً كبيرة على غرار تلك التي بذلتها في نهاية الثمانينيات في أوروبا الشرقية.

وحاولت مساعدة الثوار في أكثر من حالة كان أوضحها ليبيا على تشكيل سلطة مؤقتة بديلة تتولى المرحلة الانتقالية خلال وبعد سقوط النظام. بمناسبة ما أطلق عليه «الربيع العربي» نستعيد بالذاكرة بعض الثورات المشابهة في أوروبا والعالم خلال العقود الماضية منها الثورة المخملية في تشيكوسلوفاكيا والثورة الوردية في جورجيا والبرتغالية في أوكرانيا وثورة التوليب في قيرغيزيا وثورة البلدوز في صربيا وثورة الغناء في دول البلطيق، إضافة إلى بعض تجارب القرن الماضي في مجال النضال السلمي للحركات التحررية وصولاً إلى الثورات العربية.



#### رفع الطلبة شعارات

«اركضوا يا أصدقائي..»

العالم القديم ورائي»

«إن لم تعطني

حريتي فسأتولى الأمر



بنفسي»

الشرطة حذرت

الحكومة والرئيس

من أن المواجهة مع

الطلبة وقمعهم تلقي

بمسؤولية ضميرية

كبيرة على رجال لأمن



دانييل كون بنديت الشراة التي فجرت الثورة

تستلهم ثورات الربيع اليوم روح أحداث 1968 الشهيرة في فرنسا التي هزت أوروبا والعالم في حينه ولا تزال أصدائها تتردد إلى اليوم. لم تكن أحداث انتفاضة مايو ويونيو 1968 في فرنسا مجرد مرحلة تاريخية عابرة علا فيها صوت الشباب النائر ضد القيود التي تكبله فحطمها، بل كانت محطة مهمة و«انتفاضة» غيرت وجه البلد تماماً ولا تزال آثارها وتداعياتها ممتدة إلى اليوم، والدليل ما صرح به الرئيس الفرنسي نيكولا ساركوزي في بداية عهده عندما قال إن من أهدافه القضاء على ميراث حركة مايو 1968، لأنه – وكما كل اليمين في فرنسا – يعتبر أن تلك الحركة شكلت تهديداً للسلطة شوه المعايير السلوكية لدى المواطنين ودفعهم إلى الاستخفاف بقيمة العمل في الوقت الذي يراه فيه خصومهم النقطة التي سمحت بالتأسيس لفرنسا جديدة عنوانها الحرية والعدالة الاجتماعية.

انفجرت أحداث مايو 1968 كنتيجة لتراكمات فرضتها ظروف محلية ودولية مهمة على المستويين السياسي والاقتصادي منذ بداية الستينيات. فعلى المستوى السياسي كانت حالة من الحنق الشعبي تسود البلاد بسبب تقييد الحريات من قبل نظام الجنرال ديغول والتضييق على المفكرين وأهل الأدب والسياسة بحجة الأمن وحماية الجمهورية ومبادئها، وكان الشرخ كبيراً في النظرة إلى التجنيد ووضع المستعمرات الفرنسية في الخارج خاصة الأوضاع في الجزائر وما شهدته من مجازر قبل منحها استقلالها عام 1962 وعودة مليوني فرنسي كانوا يعيشون فيها بعدما كانت فرنسا قد عاشت حتى هزيمة «ديان بيان فو» في فيتنام 1954.

لم تتمكن الدولة ولا أجهزةتها من إسكات المفكرين أو الصحافة رغم الضغوط وعمليات المنع التي واجهت الكثير من المؤلفات والمسرحيات، وحرص المفكرين على إصدار بيانات ونداءات أشهرها «بيان الـ 121»، المناهض للمشاركة في الحروب والذي يحرص على عصيان الدولة وعدم الذهاب إلى التجنيد، وقد صاغ هذا البيان «موريس بلانشو» ووقعه أعلام كثر كان بينهم جان بول سارتر.

الحزب الشيوعي الفرنسي، وكما في أغلب الدول في تلك الحقبة، كان تحت سيطرة «الستالينيين» في زمن كانت الشيوعية تشهد فيه انقسامات عديدة، ومن أبرز العوامل المؤثرة فيها كان الخلاف الصيني – السوفييتي المستمر وخلاف الستالينيين والترتسكين المتجذر، وقد دفعت به هذه العوامل إلى مهادنة السلطة.

وانطلاقاً من هذا الواقع كانت المؤسسات النقابية والاتحادات التابعة للشيوعيين تسير على النهج نفسه.

وعلى المستوى الاقتصادي شكل عام 1968 نقطة تحولية في مسار الاقتصاد الفرنسي الذي انتقل من مرحلة النمو إلى مرحلة ركود بدأت تلقي بظلالها على العمال ومستوى المعيشة والبطالة.

لكن المفاجأة كانت أن المترد لم يبتلع من صفوف العمال بل من قبل الطلاب، وبدأ على أساس المطالبة بالحريات وخاصة شعاري «منع الممنوع» و«أن لم تعطني حريتي فسأتولى الأمر بنفسي»؛ و«اركضوا يا أصدقائي العالم القديم ورائي» ثم رفع الشعارات الاقتصادية لاحقاً.

السبب المباشر لانتفاضة مايو 1968 كان اعتقال طالب ألماني أمه فرنسية يدعى «دانييل كون – بنديت» (هو نائب بالبرلمان الأوروبي في ألمانيا اليوم) وصدر قرار بطرده بسبب تأسيسه حركة أسماها «حركة 22 مارس» رداً على إقدام السلطات

على اعتقال مجموعة من الطلاب في وقت سابق لتنظيمهم تظاهرة ضد حرب فيتنام وتشكيلهم لجنة أسموها «لجنة مناصرة فيتنام».

طالب كون – بنديت وزملاؤه بإطلاق سراح زملائهم، ولما لم تستجب السلطة لطلبهم أقدموا على احتلال مبنى جامعة «نانتير» الباريسية في بداية مايو 1968، أمام هذا الواقع أعلنت إدارة الجامعة عن إغلاق أبوابها فقرر الطلاب المحتجون نقل تحركاتهم إلى مبنى «السوربون» في اليوم التالي.

وهنا بدأت الصدامات المباشرة بين الطلاب وقوات الشرطة التي تدخلت جدياً، وألقت القبض على قادة التحرك الذين أخضعوا لتحقيق مع مجلس التأديب في الجامعة انتهى إلى قرار طردهم. أدى قرار الطرد إلى تواصل المظاهرات وتعزيز المشاركة فيها والتعاطف معها، وفي يوم 10 مايو لم تجد قوات الشرطة مفرًا لمنع تدهور الأمور إلا مواجهة تظاهرة ضمت آلاف الطلاب بعنف شديد، خصوصاً أن مطالبهم تمثلت بالتمسك بالإفراج عن أعضاء مناصري فيتنام وإعادة الطلبة المفصولين.

نتيجة للقمع المفرط الذي ظهر في بعض الصحف انضم للمحتجين عدد كبير من المفكرين والمثقفين وانتقلت العدوى إلى صفوف العمال والنقابات حتى خرجت في 13 مايو مظاهرة ضمت مئات الآلاف رغم الإفراج عن الطلبة إذ ظهرت مطالبات العمال بتحسين الأجور وتحسين أوضاعهم الاقتصادية وظروف عملهم. وفي 14 مايو أعلن الإضراب العام في البلاد فشارك فيه 10 ملايين مواطن.

واستمر نحو شهر لم ينته إلا بموافقة الدولة على زيادة الحد الأدنى للأجور 37٪/ والموافقة على تمثيل العمال في نقابات المصانع.

أحدثت الانتفاضة آثاراً مدوية في أوروبا الغربية، خصوصاً أنه لم يكن معروفاً ما ستتنتهي إليه، فبعد انضمام العمال إلى المظاهرات اعتقد اليمين أن اليساريين يتجهون إلى الاستيلاء على السلطة معززين بدعم الطلاب، لكن قراءة التجربة تؤكد أن النقابات خاصة تلك التابعة للحزب الشيوعي عملت على فك الارتباط بين تحركي الطلاب والعمال.

وكان من المستغرب في بداية التحرك الهجوم العنيف لوسائل إعلام الحزب الشيوعي على الطلاب الذين وصفوا بـ «الهمجيين» والفوضويين والرعاع. والتأكيد على تبرؤ الحزب منهم رغم انسجام شعاراتهم مع شعارات اليسار! ولم تهدأ حدة الهجوم إلا بعد أن تدخل قادة ومفكرين كبار في اليسار ليؤكدوا ضرورة التعاطف مع الطلاب ومطالبهم المحقة وتعزيز الحريات والخروج من الكبت والمحظورات التي فرضت على الشعب الفرنسي منذ انتهاء الحرب العالمية الثانية.

إذن، لم يكن الشيوعيون يسعون أو يخططون للانتقال، ولا الطلاب كما أكد «كون – بنديت» في لقاءاته الإعلامية اللاحقة يرغبون في الاستيلاء على السلطة.

في خضم الأحداث، وعندما استولى الطلاب على جامعة السوربون طلب الرئيس ديغول من رئيس وزراءه جورج بومبيدو «سحق التحرك وتنظيف الجامعة»، إلا أن الأخير رفض وكان محقاً في تصرفه لأنه كان يعلم أن كل تصعيد لابد أن يُقابل بتصعيد أكبر في الشارع.

الشرطة بدورها عمدت إلى التنسيق مع قادة المظاهرات في مختلف المناطق وفتحت معهم خطوطاً تفاوضية لمنع سفك الدماء وقد نجحت في ذلك. وكانت نقابة رجال الأمن في بداية المواجهات قد

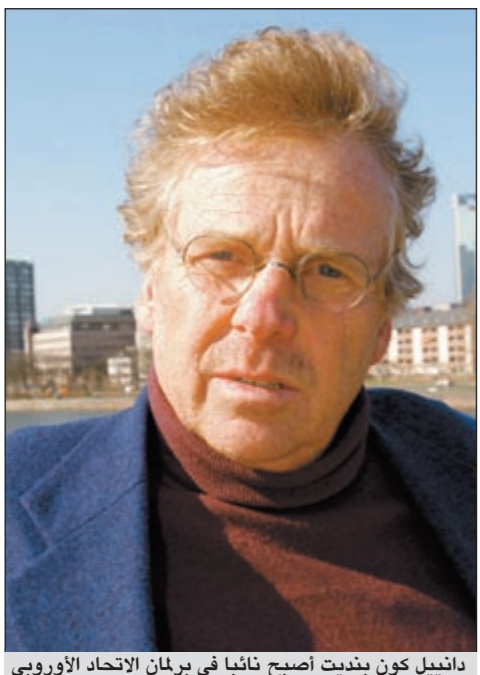
حذرت الحكومة – والرئيس ضمناً- ن أن المواجهة مع الطلاب تلقي بـ «مسؤولية ضميرية» كبيرة على رجال الأمن، وقد أصاب هذا الموقف الجنرال ديغول بحرج كبير جدا فدفعه إلى مغادرة البلاد إلى قاعدة فرنسية في ألمانيا الغربية.

ولم يعد حتى تأكد من أن المحتجين «ليسوا «ثواراً» ولا يهدفون إلى الاستيلاء على السلطة.

أمام هذا الواقع لم يجد الجنرال ديغول مخرجاً إلا الدعوة إلى انتخابات مبكرة واستقالة الحكومة في 21 يونيو، ورغم فوز حزب ديغول مجدداً، إلا أن الأحزاب لم تتبن الانتفاضة والطلاب لم يسعوا للانقلاب، فقد مهدت الأحداث لتحالف الاشتراكيين والشيوعيين وتدعيم ركائز اليسار الذي سمح بإيصال الرئيس فرنسوا ميتران إلى الرئاسة في 1981 واستمراره حتى 1995 والذي كاد يعود مع المرشحة سيفغولين ريوالي إلى رأس السلطة في الانتخابات الماضية.

هذا اليسار الذي يفتخر بانتفاضة 1968 يرى أنها حركة عززت حقوق الفرد وحرية ورفعتها إلى مصاف مهمة وانتزعتها من سلطة لم تكن ترغب في إعطائها، بع ذلك رفعت القيود عن كل شيء: الصحافة، المسرح، الأدب، الكتب، وأصبح من الممكن التعبير بحرية وانتقاد النظام وممارساته الاستعمارية وكشف وسائل تعذيبه والتأكيد على حرية أهالي المستعمرات في الاستقلال، ويؤكد أن آثارها على فرنسا اليوم لا تقل أهمية عن آثار الثورة الفرنسية عام 1789 والشعارات التي رفعتها.

تم تأليف العديد من الكتب ووضع الكثير من الدراسات حول أحداث 1968 وما إذا كانت ثورة أم لا، وعن آثارها وانعكاساتها على المجتمع، وليس هناك اتفاق حولها إذ مازال اليمينيون يصرون على أنها كانت تجربة خطيرة والتوقف عندها باحترام في النهاية وباختلاف الأحكام الصادرة بحق تلك الأحداث أو الانتفاضة، هناك حقيقة مؤكدة أنها مهدت إلى تحركات مهمة هزت أوروبا وقضت على الكثير من موروثات الحرب العالمية الثانية ورغم استمرار الحرب الباردة في أصعب لحظاتها.



أحداث الشغب التي رافقت أحداث مايو 1968



على وقع طبول الاحتجاج قامت الثورة



تحسين الأوضاع الاقتصادية كان أحد مطالب الثوار